حقيقة لقاءات التفاوض وتوسل الحسين عليه السلام بأعدائه

الباحث
صالح الطائي
جمهورية العراق - محافظة واسط
salih_alabid@yahoo.co.uk

المقدمة:

إن من الممكن لدراسة الجزئيات الصغيرة الخاصة بحدث ما ضمن مجال ما أن توضح الأبعاد الحقيقية للحدث أكثر مما لو درس الحدث كوحدة متكاملة، فدراسة الجزئيات تشبه كثيرا التخصص بجزء من فرع واحد من فروع المعرفة، فالتاريخ علم، ومنه فرع التاريخ القديم، ومن هذا الفرع تتشعب فروع أصغر منها فرع تاريخ النشوء والتكوين، وفي هذا الفرع الصغير جزئيات كثيرة منها مثلا عصر الطوفان، فالعالِم ممكن أن يتخصص بالتاريخ القديم ولكنه سيبقى قليل المعرفة ببعض الجزئيات، والعالم الذي يتخصص بأحد فروعه يكون أكثر إلماما من ذاك، لكن العالم الذي يتخصص بجزئية عصر الطوفان ممكن أن يلم بجميع أبعاد هذا العصر. ومثله الطب العام، الذي يتفرع إلى فروع كثيرة منها مثلا طب العيون، وهناك أطباء تخصصوا في جزئيات هذا الفرع مثل التخصص بالشبكية أو القرنية فأجادوا.

وفق هذه الرؤية تعودت أن أدرس الجزئيات في محاولة للوصول إلى معرفة الكليات، ولذا تناولت في هذا البحث جزئية من جزئيات حركة الإمام الحسين عليه السلام، وممكن تعميم نتائج ما توصلنا إليه على كامل حركة الإمام الحسين.

في عام (٤١هـ - ٦٦١م) وبعد الهدنة التي عقدها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية للحفاظ على بقية الشيعة ناسا وعقيدة[1] اعتقد الأمويون أن الدنيا صفت لهم، ولم يعد هناك من ينازعهم أو يقلقهم، ولهذا السبب، دفعهم غرورهم ليطلقوا على تلك السنة مصطلح (عام الجماعة)، مع ما فيهم من خوف من وجود الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة بعيدا عنهم، فهم كانوا يتربصون بالحسين ويعملون جاهدين ليحدوا من نشاطه، ولاسيما وأنه بدأ مبكرا

في الترتيب لوقف تجاوزهم على الدين واستعبادهم للأمة، ولذا كانوا يتوقعون ثورته ولكنهم لا يعرفون وقتها. الحسين عليه السلام من جانبه كان قد قيم موقفهم وحدد أولوياته تبعا للمستجدات، ومن هنا تأخرت ثورته كل هذا الوقت، وحينما ثار، كشف جميع زيفهم وكذبهم ابتداء من مسمى عام الجماعة وصولاً إلى تعيين يزيد شارب الخمر ملكا على الأمة.

إن الجهد الحسيني العظيم أربك مشاريعهم وكشف زيفهم وأبان حقيقتهم، ولذا كانت الهجمة المضادة متشعبة: حربية إعلامية عقدية فكرية، وسنتناول في هذا البحث دور الجهد الإعلامي الأموي في التصدي لجزء من المشروع الحسيني قبل وأثناء وبعد الثورة، وهو موضوع المفاوضات التي زعموا أن الحسين أجراها مع قادة جيش الأعداء.

الفصل الأول

الجهد الإعلامي

إن مهمة تقويض مشروع بمستوى الثورة الحسينية، وتشويه صورته يتطلب توظيف كل ما هو متاح، وليس الجهد الحربي وحده. ومهمة تخطئة الحسين عليه السلام، وتصحيح مواقف أعدائه، تحتاج إلى إظهار الحسين بمظهر الرجل المهزوز المذبذب الذي لا يثبت على رأي، ومن ثم دفع الناس إلى التصديق بذلك الهراء عنوة. ولأن هذا الجهد برمته يريد تسويق خلاف ما هو معروف عن الحسين شخصا وعقيدة، فقد تطلب منهم الكذب والدس والتدليس والتحريف. إن مثل هذه المهمات الصعبة تحتاج عادة إلى وجود جهاز إعلامي يقود حربا إعلامية ذات صوت عال، تسير بمحاذاة الحرب الميدانية، وتقف بمواجهة خط التحدي الحسيني الجبار.

وقد التفت الفصيل السياسي العربي[٢] إلى أهمية شن الحربين معا، لأن الحرب في سوح الوغى لا يمكنها لوحدها أن تقوض المشروع الإيماني الحسيني؛ إذا لم تكن مدعومة بتشويش يسيطر على أفكار الناس إعلاميا، وهو التشويش الذي وصل في بعض مراحله إلى تصوير سبايا أهل بيت النبوة بأنهم خوارج!. ولأن السياسيين كانوا على يقين بأن شخصا مثل الحسين بن علي عليه السلام لا يمكن أن يُطعن في فكره وعقيدته وإيمانه وصدقه، لجأوا إلى أساليب أخرى معتقدين أنها ستطفئ وهج الثورة ونورها، وهي بث بعض الحكايات

الخرافية، والإدعاء أنها حدثت في أيام ثورة الحسين أو أن لها علاقة بها، منها في سبيل التوضيح لا أكثر:

- أن الكوفيين خذلوا أئمتهم عبر التاريخ.
- أن مسلم بن عقيل جبن وخاف الموت وحاول الرجوع.
- أن أخوة مسلم أبناء عقيل بن أبي طالب تمردوا على الحسين.
- أن الحسين نفسه تفاجأ بالحالة العامة؛ التي لم يقيمها جيدا، فقرر الانسحاب من المعركة بالتفاوض مع الأعداء.

وسأتكلم عن النقاط الثلاث الأولى بشيء من الاختصار، وأركز الحديث على النقطة الرابعة؛ التي ستكون مدار هذا البحث.

خذلان الكوفيين لأئمة أهل البيت:

النقطة الأولى التي زعموا من خلالها أن الكوفيين خذلوا أهل البيت، إنما أرادوا من ورائها وعن طريق الجدل البيزنطي الفارغ؛ القول إن الكوفة وشيعتها كانوا معتادين على خذلان قادتهم، وقد خذلوا الحسين عليه السلام مثلما خذلوا غيره، وانه نقم عليهم من أجل ذلك فقرر الانسحاب، وكان الذهبي أحد أبطال هذا التحريف مدعيا أن الحسين قال خلال مباحثاته مع قادة جيش الأعداء في محاولة الاستسلام: "اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، وصنعوا بأخي ما صنعوا"(٣).

إن هذا القول الذي ألصقوه بالحسين وأرادوا من خلاله تشويه صورة أصحابه تم توليفه من مواضيع مختلفة أغلبها غير واقعي، حيث اقتبس بعضا منه من أحاديث جرت بين الحسين وبين الذين اعترضوا على خروجه من المدينة ولا علاقة له بما حدث في كربلاء. ويعني هذا أن هناك أسباب قاهرة ألجأتهم لوضعه بهذه الصيغة، ومنها إصرار الحسين على المسير إلى العراق بالرغم من كثرة الاعتراضات، مما شوش تفكيرهم، فلم ينجحوا في إدراك معنى هذا الإصرار.

إن الإصرار غير المفهوم أصاب عقول من لا يعرفون الحسين بالحيرة والتخبط، ومنه

ما جاء في قول الدكتور حسن إبراهيم حسن: "أما الحسين فإنه لم يعتبر بما فعله أهل الكوفة مع أبيه وأخيه من قبل"(٤). وهذا تلاعب بما كان قد أشار إليه ابن الأثير في حديثه عن اعتراض عمر بن عبد الرحمن بن الحارث؛ الذي قال للحسين: "انك تأتي بلدا فيه عماله، وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال"(٥). وأشار إليه عند إيراده اعتراض ابن عباس الذي قال له: "أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم"(٦)، ويفضح الخلط الذي وقعوا فيه عن عمد وتقصد.

لقد تكررت محاولة التشكيك في عشرات الكتب التاريخية، وغالبا في جميع الفصول التي تناولت ثورة الحسين لدرجة أن ابن كثير أوردها على لسان معاوية نفسه؛ الذي كتب له مروان يخبره بنوايا الحسين، فكتب إلى الحسين: "وقد نبئت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت قد افسدوا على أبيك وأخيك"(٧) بما يعني أن معاوية هو الذي وضع هذه النظرية بعد أن أوغر أهل العراق قلبه بحبهم لعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وهو زعمٌ نابعٌ من كره الأمويين ومن يناصرهم للكوفة وأهلها، لأنها معقل علي وأهل بيته، ولو كانت الكوفة كما يدعون لما سار إليها الحسين؛ الذي كان يملك خيارات كثيرة لا تقل عنها استعدادا مثل البصرة واليمن والطائف وغيرها.

لم يقتصر دور العملاء الأمويين في الكوفة ممن أوكل لهم معاوية مهمة التخريب على ما قاموا به من عمل ضد آل البيت وأتباعهم، وإنما استغل الإعلام الأموي وجودهم ليعمم صورتهم على جميع أهل الكوفة من محبي آل البيت عليهم السلام، وكما كان الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام على علم بوجود هؤلاء وبنواياهم التخريبية، كان الحسين كذلك على علم بنوايا وسرائر الكثير ممن كتب له من الكوفيين يدعونه إلى المسير، وكان يعرف الصادق من الكاذب، إذ لا يعقل أن الحسين الذي كان مرافقا لأبيه وأخيه في حروبهم ضد الشاميين لم يكن يعرف نوايا بعض من كتب له مثل:

١- شبث بن ربعي؛ الذي أدرك عصر النبوة، ثم ارتد ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، وثار على عثمان، ثم أصبح أموي الهوى، وبعدها كتب إلى الحسين(٨) ليظهر يوم الطف في منتهى التشدد والكراهية ضد الحسين وأصحابه، وفي منتهى الإخلاص للأمويين.

٢- حجار بن ابجر؛ الذي جاء ومعه ألف فارس ليقاتل الحسين، والذي لم يكتف بقتال الحسين وإنما قام فيما بعد "في عشيرته ضدّ المختار - لما قام للطلب بثأر الإمام - في وقعة جبّانة السبيع"[٩].

٣- يزيد بن الحرث بن رويم؛ الذي جاء بألفي فارس ليقاتل الحسين، وكان بعد واقعة الطف يتجسّس في الكوفة للأمويين، مع عمر بن سعد وشبث بن ربعي، على سليمان بن صرد والمختار وجماعة الشيعة[١٠].

٤- عروة (في روايات أخرى: عزرة) بن قيس الأحمسي الذي وضعه ابن سعد على الرجالة، ثم طلب منه أن يذهب رسولا إلى الحسين فرفض متعللا: "إني كنت اليوم، أكاتب الحسين ويكاتبني، وأنا أستحي أن أسير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث"، وقد لأوردنا قوله كاملا في مطاوي البحث، قال هذا مع أنه حضر الواقعة بأربعة آلاف جندي لمقاتلة الحسين[١١].

٥- عمرو بن الحجاج الزيدي؛ الذي جعله عمر بن سعد على ميمنة جيشه[١٢] ثم أمره أن يسير في خمسمائة راكب، فينيخ على الشريعة، ويحول بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل مقتل الحسين بثلاثة أيام، فأزاحهم العباس عنها[١٣].

إن جميع هؤلاء لم يكونوا من شيعة الحسين، ولا من محبيه، والحسين كان يعرف نواياهم وأهدافهم، وهو حينما سار إلى الكوفة لم يسر استجابة لمطالبهم ورسائلهم، وإنما سار ليؤدي واجبا شرعيا مكلف بأدائه على كل حال، وقد أوضح طبيعة هذا الواجب في جوابه على كتب الكوفيين الذين طالبوه بالمسير أليهم؛ أجابهم بعد أن اخبرهم انه راسل إليهم مسلم بن عقيل رسولا: "ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدَينْ بدين الحق"[١٤].

إن محاولات تشويه موقف الكوفيين الشرفاء من الثورة الحسينية إنما جيء بها لتكون رداً على حقيقة غيبوها لأنها تفضحهم؛ وهي معرفة الحسين بنواياهم، ورده عليهم بالذات، والرد على كل المزيفين الذين كتبوا إليه بحثا عن مصالحهم ومكاسب دنيوية يبغونها، لا على أتباعه وأصحابه الخلص، وقول الإمام واضح جلي، لا يحتاج إلى جهد لكي يُفهم حيث ثبت أنه دعا عليهم لا على غيرهم، بقوله: " اللهم أحكم بيننا وبين قومنا بالحق، فإنهم

غرونا وخذلونا، وغدروا بنا، وقتلونا، ونحن عترة ولد نبيك وولد حبيبك محمد الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين "(١٥).

أما أصحابه وشيعته فقد قال فيهم تلك الكلمة الخالدة: "لا أعلم أصحابا خيرا من أصحابي"؛ التي تكرر ذكرها في البحث.

مسلم والعطش والعودة:

وأما النقطة الثانية التي ورد فيها زعمهم أن مسلم بن عقيل جبن وخاف وقرر الرجوع؛ خلافا لما هو مشهور عنه، فهي محاولة أخرى من محاولات زرع الشك حول تمسك الحسين بمنهج الثورة، ومحاولة لتكذيب علمه انه مقتول لا محالة في كربلاء، وكأنهم أرادوا القول: إن ثورة الحسين كانت ارتجالية لا أصول لها، وأنه كان مترددا بين المسير والجلوس، وأن أصحابه لا يقلون عنه ترددا، ولاسيما بعد أن شعروا ـ كما يصورهم الإعلام ـ وكأنهم ورَّطوا أنفسهم في أمر لا يقدرون عليه.! ولذا نجد هناك من اتهم مسلم بن عقيل بأنه أراد العودة بعد أن مات الدليلان اللذان كانا يرافقانه عطشا، فكتب إلى الحسين: "حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى: المضيق من بطن الخبيث، وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني وبعثت غيري"(١٦). ويكفي هذا القول ومن وضعه تهافتا أنهم اختاروا أسماء مناطق مبهمة ليدعوا أن مسلم تطير من أسمائها وطلب الرجوع، هذا مع نهي النبي صلى الله عليه وآله عن الطيرة، وتحريم الاعتقاد بها، ومعرفة مسلم بهذا النهي. فالمضيق: قرية في لحف آرة، بين مكة والمدينة، وقيل: المضيق، موضع بين مدينة الزباء بنت عمرو، وبين بلاد الخانوقة وقرقيسيا على الفرات.(١٧) وكلتاهما لا يصح وجودهما في طريق مسلم من مكة إلى الكوفة، فماذا دفع مسلم ليسير في الطريق بين مكة والمدينة؛ وهو ذاهب إلى الكوفة؟

والمضيق كما قال البغدادي: تقع بين خانوقة وقرقيسياء، وخانوقة: مدينة على الفرات قرب الرقة(١٨) أي في سوريا وليس في طريق الكوفة، وقرقيسياء: بلد على الخابور عند مصبه، وهي على الفرات، جانب منها على الخابور وجانب على الفرات، فوق رحبة مالك ابن طوق(١٩). ورحبة مالك بن طوق تقع على الفرات بين الرقة وعانة، أحدثها مالك في

خلافة المأمون[٢٠] أي أنها هي الأخرى تقع في الشام أو في الطريق إليها، وليس في الطريق بين مكة والكوفة.!

أما المنطقة الثانية التي ادعوا أن اسمها: بطن الخبيث، فهي الأخرى لا وجود لها، ولم يرد ذكرها في معجم بلدان ياقوت الحموي، ولا في مراصد الاطلاع للبغدادي، وقد أورد البغدادي في باب الباء والطاء: "البطن: الموضع الغامض من الوادي، والبطون كثيرة"[٢١] ثم أورد بعد هذا القول أسماء بطون كثيرة جدا، ليس بينها بطن الخبيث[٢٢] وعند البحث في (باب الخاء والياء) عن خبيث وحدها بدون بطن لا تجد لها وجودا، وتجد عوض ذلك قولا للبغدادي عن منطقة أخرى اسمها (خُبَيِتْ) بالتاء وليس بالثاء، قال عنها: "خبيت: ماء بالعالية يشترك فيه أشجع وعبس"[٢٣].

والعالية: كل ما كان من جهة نجد من المدينة وقراها وعمائرها إلى تهامة العالية، وما كان دون ذلك السافلة. وقيل: عالية الحجاز: أعلاها بلدا وأشرفها موضعا، وهي بلاد واسعة. وقيل: العالية ما جاوز الرمة إلى مكة[٢٤] أي أن خبيت بعيدة جدا عن طريق مسلم إلى الكوفة، ولا يعقل - بل يستحيل - أن يكون مسلم قد دار كل تلك الدورة المنهكة البعيدة الوعرة الخطرة ليصل من مكة إلى الكوفة، في وقت كان هناك طريقا ثابتا للحاج والقوافل يبدأ من مكة ـ التنعيم، ومنها يذهبون إلى المدينة المنورة ـ الصفاح ـ وادي العقيق – الحاجر – الخزيمية – زرود – زبالة – بطن العقبة – شراف – ذو حسمي ـ البيضة، ومنها طريق يذهب إلى الكوفة وآخر يذهب إلى كربلاء يمر بعذيب الهجانات – قصر مقاتل – كربلاء.

والظاهر أن ابن الأثير بما معروف عنه من تعصب إما انه اختلق هذه القصة أو سمعها ممن تحدث بها أمامه، فنقلها دون التأكد من صحتها، فالطبري مع أنه أورد أصل القصة، وبما هو معروف عنه من عدم الدقة، وقلة البحث في أصول النصوص؛ إلا أنه لم يذكر أسماء تلك الأماكن التي ادعوا أن مسلم تاه بينها، واكتفى بالقول: "فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمرا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة، فخرج حتى قدمها"[٢٥].

ومن الغريب أن ينجو مسلم ويموت الدليلان، إلا إذا ما كان قد ارتكب جريمة منع الماء عنهما ليموتا عطشا لينجو بنفسه، وهذا هو المحال بعينه. والظاهر أن هناك من انتبه إلى هذا التناقض، فأختلق قصة أخرى ليعلل سبب بقاء مسلم وموت الدليلين، حيث قال ابن خلدون في تاريخه: "واستأجر دليلين من قيس، فضَّلا الطريق، وعطش القوم، فمات الدليلان بعد أن أشارا إليهم بموضع الماء، فانتهوا إليه، وشربوا ونجوا"[٢٦].

الأغرب من ذلك أن هناك من ادعى بأن مسلم قُتل في الجزيرة بعيدا عن العراق، وبأن الحسين أراد الرجوع من ذلك المكان البعيد، قال ابن عبد ربة: "وقد جاء حسينا الخبر (أي خبر قتل مسلم) وهم بشَرَاف[٢٧]، وشراف هذه كما يقول الحموي: ماء بنجد، على ثمانية أميال من الاحساء[٢٨] وفي مراصد الإطلاع: شَرَاف ما بين واقصة والفرعاء، فيها ثلاثة آبار كبار، وقُلُبٌ كثيرة طيبة[٢٩].

وهذا يعني أن الدليلين اللذين كانا مع مسلم، إن صحت الرواية، ماتا من العطش في منطقة مشهورة بكثرة مياهها، وبوجود ثلاثة آبار كبيرة، وكثير من الآبار الصغيرة (القلب) وهذا مخالف للعقل والمنطق. والأنكى من ذلك أنهم قالوا إن مسلما نفسه قتل في هذه المنطقة بالذات؛ قبل أن يدخل ارض العراق، وقبل أن يخرج الحسين من مكة، وهذا خلط قبيح.!

إن القصة بمجملها خلاف الواقع لأن الحسين سيَّر مسلما أمامه، وسار بعده، ومسلم قتل على ارض العراق، وفي الكوفة تحديدا، وقصة مقتله أشهر من نار على علم، لا يَخلُ كتاب تاريخ من ذكرها. وكان يزيد قد كتب إلى ابن زياد بعد أن ولاه الكوفة والبصرة: "إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فأقتله أو أنفه"[٣٠] ما يعني أن مسلم كان موجودا في الكوفة، ولم يمت في منطقة شراف. والظاهر أن ابن عبد ربة وقع في خلط كبير فجمع كذبة موت أحد الدليلين المزعومة، وكذبة تطير مسلم، وكذبة التفكير بالرجوع مع قصة ثانية ـ هي الأخرى من صنعهم ـ تحدثت عن الحسين والتفكير بالرجوع بعد مقتل مسلم.!

وكان ابن خلدون هو الآخر قد تحدث عن تردد مسلم ونيته العودة إلى مكة بعد أن تطير من موت الدليلين أو أحدهما، ولكنه أوغل في الدس والتحريف مدعيا أن الحسين اتهم مسلما بالجبن، وهذا ما قلنا أنهم كانوا يبغون الوصول إليه من اختلاقهم مثل تلك

ISNN 1997-6208

الروايات الكاذبة، قال ابن خلدون: "فتطير مسلم من ذلك، وكتب إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه: خشيت أن لا يكون حملك على ذلك إلا الجبن، فامض لوجهك والسلام"(٣١) حيث يبدو النص وكأن الحسين كان قد شخص صفة الجبن في مسلم، ومع ذلك أرسله في اخطر مهمة، ليقولوا من خلال ذلك إن الحسين لم يكن يحسن فن القيادة، وبالتالي هو غير مؤهل ليقود الأمة.!

إن كثيراً من المؤرخين أوردوا هذه الرواية المدسوسة ليقولوا: إن العلاقة بين الحسين وأصحابه لم تكن سليمة جيدة، وانه كان يجبرهم على المسير معه بالقوة، وليقولوا: إن مسلم كان جبانا يتمنى العودة. والغريب أن المؤرخين أنفسهم هم الذين ذكروا ما ورد في بداية كتاب الحسين إلى الكوفيين، جوابا على كتبهم؛ والذي جاء فيه: "فهمت ما قصدتم وقد بعثت إليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل"(٣٢) التي تدل على أن الحسين اختار مسلما لهذه السفارة المهمة والخطيرة ممثلا ينوب عنه ويمهد له، لأن مسلم كان مميزا، ولأن الوكيل كالأصيل، فهو من أهل البيت، وابن عمه الحريص على مصلحته، وثقته من أهله، وهو مشهور بالشجاعة والبأس، وهي صفات يستحيل أن تناسب شخصا جبانا مترددا أثبتت النقول الصحيحة أنه واجه جيشا كاملا من الأعداء ولم يتراجع، وأنه في أشد الظروف قسوة وحتى عندما كان مشرفا على الموت، كان يفكر بالحسين، ويتمنى أن يجد من يوصل له أخبار الكوفة، والقصة معروفة للجميع. كما أنه كان شجاعا ثابت الجنان وهو يرد على ابن زياد. وقد جاء في تاريخ الطبري عند حديثه عن الحوار بينه وبين ابن زياد؛ بعد أن القوا القبض عليه، أن ابن زياد، قال له: "إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، لتشتتهم، وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض.! قال كلا، لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب... أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تَدَعُ سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك"(٣٣).

تمرد إخوة مسلم:

في النقطة الثالثة ادعوا أن الحسين نفسه هم بالرجوع بعد أن وصله خبر موت مسلم،

وان أولاد عقيل بن أبي طالب، غضبوا لمقتل مسلم، فمنعوه من العودة طلبا للثأر. فالمزيفون والمحورون بعد أن أظهروا مسلما بهذا المظهر المتردد؛ عادوا إلى الحسين ليلبسوه الثوب نفسه، مدعين أنه ما إن وصله خبر مقتل مسلم حتى هم بالرجوع، ولكن إخوة مسلم هم الذين صمموا، وأصروا على المسير للثأر من قاتليه، فأذعن لهم الحسين، وسار مجبرا.!(٣٤).

إن هذا الادعاء السمج أوقعهم في خلط كثير مثله مثل كل أقوالهم الكاذبة الأخرى، حيث نجد قبالته قولا لابن الأثير في الكامل يتبين منه أمران مدهشان:

- الأول: أن بعض المرافقين للحسين هم الذين أرادوا العودة، أو أنهم خافوا على الحسين وطلبوا منه العودة.
- الثاني: أن إخوة مسلم هم الذين اعترضوا على هؤلاء، لا على الحسين.

وبالتأكيد لم يأت الاعتراض لمجرد طلب الثأر كما زعمت الرواية لأنهم كانوا يعلمون أن هناك جيشا جرارا ينتظرهم وليس مجرد أفراد بسطاء يسهل الانتقام منهم، فمسلم لم يقتل على يد رجل واحد، أو عشيرة واحدة يسهل طلب الثأر منها، وإنما قتله جيش الحكومة المدعوم بقوة الدولة. تقول رواية ابن الأثير: "وأتاه خبر مقتل مسلم بن عقيل بالثعلبية، فقال له بعض أصحابه: ننشدك الله إلا رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة... فوثب بنو عقيل، وقالوا: والله لا نبرح حتى يُدرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم"(٣٥).

إن الدس الرخيص كان واحدا من محاولات السياسيين الخائبة؛ التي أرادوا من خلالها أن يظهروا الحسين شخصا مترددا يُقدِمُ خطوة ويؤخر خطوتين، فيَهِمُ بالرجوع ما إن تقابله مشكلة صغيرة. ويظهروا الذين معه مجرد قوم أعراب غير عقائديين، يدفعهم طلب الثأر إلى خوض الحرب، ولا يستحقون المكانة التي وضعهم الحسين فيها. فأوقع هذا التخبط المؤرخين في اضطراب شديد أفقدهم التمييز، فهم في معمعة الاضطراب والفوضى، أضاعوا رشدهم، فخلطوا خلطا شديدا، وصل إلى درجة التعارض في القول، ولا أوضح من إيرادهم المتعارض من القول دون أن يفطنوا لذلك، فالذين أوردوا قصة تمرد إخوة

مسلم ومنهم اليعقوبي والطبري وأبو الفدا وابن كثير وكثيرون غيرهم، أوردوا رواية أخرى نجد فيها أن الحسين هو الذي طلب من إخوة مسلم الرجوع، وأنهم هم الذين أصروا على المسير والموت معه، وأن هذه الحادثة وقعت في الكوفة لا في المكان الذي ذكروه، فابن الأثير من خلال حديثه عن الليلة التي وقعت الحرب في صبيحتها، وفي حديثه عن خطبة الحسين وتفضيله لأصحابه وأهل بيته أورد بعد طلب الحسين من أصحابه الانصراف القول الحقيقي لإخوة مسلم، ومما جاء فيه: "فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟، لنبقى بعدك؟، لا أرانا الله ذلك أبدا. فقال الحسين: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. فقالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله، لا نفعل، ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك"(٣٦).

إن الحقيقة التي أغفلها المؤرخون أن الحسين لم يفكر بالعودة مطلقا، ولم يدر في خلده مجرد تأجيل الثورة؛ بدلالة قوله بعد أن تأكد له مقتل مسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر: "لا خير في العيش بعد هؤلاء"(٣٧)، فلماذا أرجع.!

إن اختيار أبناء الفصيل السياسي وبعض المؤرخين المتواطئين مع السلطة أماكن في الطريق إلى كربلاء بالذات ليضعوا لها بعض الروايات التي تشكك بموقف الإمام الحسين وموقف أصحابه إنما كان للتشويش على عقلية المتلقي وتحريفا للتاريخ وطمسا للحقائق.

إن السياسيين وأتباعهم الإعلاميين، ضخموا صور بعض الأماكن لتطغى على صورة الأماكن المهمة الأخرى، فالثعلبية وزرود وغيرها كانت محطات حسينية، نسب المؤرخون وقوع بعض الأحداث فيها، ولكنهم تجاوزوا الأماكن الحقيقية لأن قرب هذه الأماكن من كربلاء يعني أن القرار المتخذ فيها يكون على مستوى عال من الأهمية والخطورة، فمكانة الحسين وأصحابه الحقيقيين تكشفت بشكل عام في تلك المحطات، ولكنها تكشفت بجوهرها الأنقى بالقرب من كربلاء وفي عين الخطر، في الرقعة الجغرافية التي تقع بين الكوفة والقادسية أو قبلها بثلاثة أميال؛ مثلما يقول الطبري(٣٨) ففي هذا الموقع بالذات، نجد الذين طلبوا من الحسين العودة ما إن سمعوا الحسين يقول: "فمن أحب أن ينصرف؛ فلينصرف

ليس عليه منا ذمام" حتى بادروا إلى مغادرة مواقعهم. أو كما قال ابن الأثير: "فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة"(٣٩) وفي البداية والنهاية: "فسار الحسين حتى إذا كان بزرود بلغه أيضا مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة(٤٠) بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر(٤١) فقال: خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه، وليس عليه منا ذمام، قال: فتفرق الناس عنه أيادي سبأ يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة"(٤٢).

ونجد الحسين عليه السلام يؤكد حقيقة موقفه بلا ريب أو شك، فهو بعد أن لقيه الحر الرياحي "خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله واثني عليه، ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري... أنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت الرسول، نفسي مع نفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيّ أسوة"(٤٣) فهل من توضيح أكثر من هذا؟

وهكذا يتبين أننا كلما توغلنا عمقا في دراسة ثورة الطف نكتشف أسرارا جديدة تثبت أن الجهد الإعلامي المعادي نجح في تأطير الثورة الحسينية وفق نظرته المادية عن طريق الابتكار الشرير والكذب والخلط والتدليس، حيث ابتكروا وصنعوا قصصا وروايات وضعوها قبالة كل صغيرة وكبيرة من أحداث الثورة، لكي يطفئوا نورها، ويسلبوها تألقها، ويحولوا نجاحها إلى فشل. ولقد أخذ المؤرخون بما جاء به السياسيون، ثم وظفوه في مشاريعهم لأسباب أغلبها مادي، وبعضها سببه الخلاف العقائدي، وبعضها القليل الآخر سببه جهل بعض المؤرخين، وفقدانهم لمنهجية الكتابة التاريخية. ولكن خلود الحقيقة الدائم وسذاجة مواقفهم، كشف نواياهم، فذهب كل عملهم هباء، وخلدت الثورة وستخلد إلى يوم الدين.

إن القائمين على التخريب الإعلامي كانوا على يقين أن كل ألاعيبهم سوف تتكشف للناس عاجلا أم آجلا، ولذا أوغلوا في التخريب والدس ليصلوا إلى مهاجمة الحسين عليه السلام

نفسه من خلال التشكيك بصحة موقفه الثابت، واختاروا لهذه المعركة لعبة سمجة أطلقوا عليها اسم (المفاوضات).

الفصل الثاني

حديث عن اللقاءات المتكررة

تبدو صورة الحسين الشامخ الذي يرفض المساومة على المبدأ، والذي يعلن استعداده للموت هو وأولاده وأبناء عمومته وأهله ألف مرة في سبيل الحفاظ على دين الإسلام، تبدو مقلوبة ومشوهة في فكر بعض المؤرخين الذين رضخوا إلى ضغوطات وهبات وإغراءات وتهديدات السياسيين فأطاعوهم، حيث يبدو الحسين عليه السلام في هذه الصورة؛ يستجدي أعداءه العطف والخلاص، ويتوسل إليهم لكي ينقذوا حياته مقابل التنازل عن كل شيء، بما في ذلك الإمامة المعصومة، ليتحول إلى مجرد جندي بسيط في جيشهم يرابط مع الجند الآخرين في المكان الذي يختارونه له.!

إن حقيقة التوسل المزعوم الذي ادعوا أن الحسين أبداه لقادة جيش الأمويين لكي ينجو من الموت حبا بالحياة، تبدو للباحث المنقب واحدة من ألاعيبهم وتحريفاتهم التي اشتهروا بها، وذلك أنهم وظفوا طلب الحسين من عمر بن سعد أن يترك الأمويين ويلتحق به، فقلبوه كما هي عادتهم في قلب الحقائق وتزييفها، ليدعوا أن هناك عدة لقاءات مزعومة دارت بين الحسين عليه السلام وقائد جيش الأعداء عمر بن سعد بن أبي وقاص في الساحة الفاصلة بين الجيشين، أي وسط الميدان المحتمل للمواجهة، وقالوا: إن هذا اللقاءات تكررت ثلاث أو أربع مرات. قال ابن الأثير: "التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا"(٤٤). وادعوا أنه: لا يعلم أحد ما دار بين الحسين وقائد جيش الأمويين في تلك اللقاءات.

ولكن الأقلام المغرضة التي اخترعت قصة اللقاءات؛ شطت بعيدا مستغلة جهل الناس بما دار لتدعي أمورا يستحيل صدور مثلها من أبسط القادة الميدانيين، ثم نسبوها إلى الحسين. ومن مخرجات أقوالهم تلك تتضح ثلاث جزئيات مهمة، هي على التوالي:

- عدد اللقاءات بين الطرفين.
- الحوار الذي دار بين الفريقين في تلك المفاوضات الطويلة.

• النتائج التي أسفرت عنها المفاوضات.

عدد اللقاءات:

أما ادعاؤهم أن ثلاثة أو أربعة لقاءات تمت بين الحسين وابن سعد فهو مجرد تهويل كان الغرض منه تصوير وجود تواطؤ بين الحسين عليه السلام وابن سعد. وكان الشمر بن ذي الجوشن هو الذي ألف هذه الإشاعة؛ التي أطلقها من أجل غايتين، الأولى: عداءً للحسين، والثانية: تزاحما مع ابن سعد، وهي خديعة سعى من خلالها إلى تحقيق المكاسب والفخر من جانب بتأكيد كرهه للحسين، ومن جانب آخر مزاحمة منه لعمر بن سعد الذي سرق منه الأضواء، حيث قال لابن زياد: "والله لقد بلغني أن الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين"(٤٥). ولا يوجد ما يثبت أن ابن زياد سأله عن ناقل الخبر، ولكن هناك عشرات الإشارات التي تؤكد كره شمر للحسين، وتفضح المنافسة الحامية بين الشمر وابن سعد.

حوارات التفاوض:

ذهبت أغلب الروايات إلى أن اللقاءات المزعومة؛ التي دارت بين الحسين عليه السلام وعمر بن سعد كانت سرية لم يطلع على ما دار بينهما فيها سوى المتحاورين نفسيهما، بدلالة تأكيد جميع الروايات على جملة (بحيث لا نسمع أصواتهما)، ومن تلك الروايات ما أخرجه الطبري عن هانئ بن ثبيت الحضرمي، وهو المجرم الذي ارتكب جريمة قتل عثمان وجعفر أولاد علي بن أبي طالب وإخوة الحسين من فاطمة بنت حزام الكلابية، وأحتز رأس أحدهم، ومن ثم أشترك مع صاحبه المجرم بكر بن حي التيمي بقتل أحد أصحاب الحسين العظماء وهو الصحابي الجليل عبد الله بن عمير، كما اشترك في قتل مجموعة من أصحاب الحسين(٤٦) وكان بكر هذا قد شهد قتل الحسين عليه السلام، فقال: "بعث الحسين إلى عمر بن سعد؛ عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك؟ قال: فخرج عمر بن سعد في نحوٍ من عشرين فارسا، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما، فتكلما فأطالا؛ حتى ذهب من الليل هزيع(٤٧)، "ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه"(٤٨). وهذا شاهد مزعوم من أهل الواقعة المزعومة، كان من ضمن العشرين حارسا الذين خرجوا مع ابن سعد عندما خرج للقاء

الإمام الحسين، اعترف بحقيقتين جليتين تدلان على أن الحسين وغريمه التقيا بعيدا عن مسامع الآخرين، كما في جملتيه: (انكشفنا عنهما) و (لا نسمع أصواتهما أو كلامهما).

وابن كثير في البداية تحدث عن خروج العشرين فارسا مع كل مفاوض، ومع انه لم يتحدث عن ابتعادهم أو بقائهم، إلا انه قال"ولم يرد احد ما قالا"[٤٩] أي لم يسمع احد ما قالا لينقله أو ليورده، ولذا أكد مسألة الظن، بقوله: "ولكن ظن بعض الناس انه سأله أن يذهب معه إلى يزيد"[٥٠]. وهذا ظن كله إثم، وليس بعضه بالتأكيد، فالوقائع التاريخية ولاسيما المهمة والمصيرية منها لا يمكن أن تبنى على الظن.

قبالة تلك الأقوال تجد في البحار فيما يخص موضوع اللقاء والتمهيد له وما دار فيه من حديث، قولا يتحدث عن شهود حضروا لقاءً من نوع آخر لا علاقة له باللقاءات التي يتحدثون عنها، وعن شهود سمعوا ما دار فيه من حديث، لم يكن من ضمنه أي خبر عن لقاء الحسين وابن سعد، ولا عن الشروط الثلاثة التي روجوا لها، وفي الخبر: "بعد نزول الحسين كربلاء قدم عمر بن سعد بأربعة آلاف فارس، فنزل نينوى[٥١] وبعث إلى الحسين عروة بن قيس الاحمسي، فقال له: أئته فسله ما الذي جاء بك وما تريد، وكان عروة ممن كتب إلى الحسين، فاستحى منه أن يأتيه... فقام كثير بن عبد الله الشعبي فقال: أنا اذهب إليه ووالله لئن شئت لأفتكن به، فقال عمر: ما أريد أن تفتك به ولكن أئته فسله ما الذي جاء بك وما تريد، فلما رآه أبو ثمامة الصيداوي طلب من الحسين أن لا يخرج إليه، ومنعه من الاقتراب من الحسين فرجع. فدعا عمر بن سعد قرة بن قيس الحنظلي وأرسله إلى الحسين، فأجابه الحسين: كتب لي أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فأنا انصرف عنكم، فرجع إلى عمر بن سعد واخبره[٥٢].

فضلاً عن ذلك هناك للمجلسي رواية أخرى تتحدث عن لقاء بين الحسين وعمر بن سعد، حضره أربعة شهود، ولكن الحوار خلاله لم يكن عن استسلام الحسين، ولا عن أي تنازل محتمل، وإنما طلب فيه الحسين من ابن سعد أن يترك أهل الشام ويلتحق به، وهذه الرواية هي الأصل الذي اعتمده المحرفون ليخلقوا من خلال تحريفه تلك الروايات الغريبة. نجد في هذه الرواية التي نقلها المجلسي الكثير من الاختلاف مع رواية بكر وغيرها، منه:

١- تأكيد خبر أن الحسين هو الذي أرسل إلى ابن سعد يطلب حضوره إليه وليس العكس.

٢- أن هناك أربعة أشخاص آخرين حضروا اللقاء وسمعوا ما دار فيه.

٣- أن الحسين طلب من عمر ترك جيش الشام والالتحاق به، والوقوف في صفه.

٤- أن الحسين رجع بعد أن رفض عمر الانسحاب.

٥- لم يدر أي حديث آخر خلال اللقاء، ولم يعقد لقاء آخر.

هذه الرواية أخرجها المجلسي عن محمد بن أبي طالب: أن الحسين أرسل إلى عمر بن سعد "إني أريد أن أكلمك؛ فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين، وخرج إليه الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له، فقال له الحسين: ويلك يا ابن سعد أما تتقي الله؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي؟ فقال عمر: أخاف أن يهدم داري فقال الحسين أنا ابنيها لك فقال أخاف أن تؤخذ ضيعتي فقال الحسين أنا اخلف عليك خيرا منها فقال لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه فانصرف عنه الحسين"[٥٣] وقد استغلت هذه الحادثة من قبل السياسيين والأعداء والأدعياء ليبنى عليها موضوع شروط الهزيمة والتنازل، بعد أن ادعوا أن اللقاءات تكررت.!

بناء واقعة ظنية وصياغة شروطها:

اقصد بالواقعة اللقاءات المزعومة بين الحسين عليه السلام وعمر بن سعد، وأما الشروط فهي المطالب الرجائية التي ادعوا أن الحسين تقدم بها إليهم. ومع فرضية صحة وقوع اللقاءات وصحة وجود الصحبة المرافقة للمتحاورين؛ إلا أننا لا نجد في أي كتاب من كتب التاريخ؛ لأي من الرجال المرافقين للمحاورين ـ أقصد العباس وعلي الأكبر، وحفص والغلام ـ مجرد تصريح بسيط عما دار في الحوار، أكثر من طلب الإمام استسلام ابن سعد، وتخوف الأخير؛ الذي ورد في رواية محمد بن أبي طالب السابقة. ولم يتكلم أي منهم عن الشروط التي يقال إن الحسين وضعها مقابل استسلامه إلى الجيش الأموي مقابل العفو عنه. وحتى لو فرضنا جدلا لا أكثر أن استشهاد العباس وعلي الأكبر عليهما السلام في نفس المعركة، منعهما عن التحدث عنها، فإن حفص بن عمر بن سعد والغلام لم يموتا في المعركة، بل قتل المختار

حفص ـ وهو ابن أخته ـ حينما كان واقفا بين يديه، فادخلوا على المختار رأس عمر بن سعد، فقال له المختار: "أتعرف هذا الرأس يا حفص؟ قال: نعم هذا رأس أبي؛ ولا خير في العيش من بعده، وقال المختار: هذا (أي عمر بن سعد) بحسين، وهذا ـ أي حفص ـ بعلي بن الحسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله[٥٤] أي أن هناك مدة طويلة عاشها حفص قبل موته؛ فلماذا لم يحدث أحدا بما دار في اللقاء؟ أما غلام ابن سعد، الذي عاش أكثر من حفص؛ فلم يرد عنه شيء. فلماذا لم نسمع منهما شيئا؟ بل لا توجد أي رواية في أي مصدر تثبت أن عمر بن سعد بطل الواقعة المزعومة كان قد تحدث عن تلك الشروط المزعومة.!

ومع كل تلك الدلائل نجد روايات كثيرة أخرى تتحدث عن هذا اللقاء بنوع من العبثية المفرطة التي تتجاوز كل ما تعارفوا عليه من شروط الرواية الصحيحة. فالطبري وابن كثير ذهبا ابعد كثيرا مما ذهب إليه غيرهما؛ بذكرهما شروطا غريبة، يدعون أن الحسين وضعها رغبة منه في أن يستسلم لأعدائه. ولكنهم لم يجرؤا على نسبتها لأحد من الحضور، فبالرغم من خطورة وأهمية وحساسية الشروط إلا أنهم عجزوا أن ينسبوها إلى أي واحد ممن حضروا الحوار، أو إلى أي شخص معروف آخر ممن كان قريبا أو حتى إلى أبطالها، وإنما تركوها مفتوحة لكل الاحتمالات، قابلة للتأويل والتهويل، بل مفتوحة على ظن ظنه أناس مجهولون، وشك لا يستقيم معه حديث ولا قول، ويدلك التخبط الذي وقع فيه الطبري على حقيقة هذا الأمر، فالطبري خلط في روايته بين الحديث عن اللقاءات وشروطها وبين ما جاء في رواية محمد بن أبي طالب آنفة الذكر، فقال: "وتحدث الناس فيما بينهم ظنا يظنونه أن حسينا قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين؟ قال عمر: إذن تهدم داري. قال: أنا أبنيها لك. قال: إذن تؤخذ ضياعي. قال: إذن أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز. قال: فتكرَّه ذلك عمر، قال: فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم، من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئا ولا علموه"[٥٥] ولمثله ذهب ابن كثير في تاريخه[٥٦].

فهل يبنى التاريخ المحترم على أحاديث عامة الناس المجهولين المبنية على ظن يظنونه عن أمر لم يسمعوه ولم يعلموه؟ وأي تاريخ ذاك الذي يأخذ روايات المجهولين الظنية، ويترك روايات الثقات؟

لكن بالرغم من هذا التهافت الكبير جاء ابن كثير بإضافات على كلام الطبري، وأضاف شرطا آخر اعتمادا على (بعضهم) أيضاً، وبعضهم هذه لا تدل على أحد بعينه، ولا يمكن نسبتها إلى أحد مطلقا، فهي مفتوحة إلى أقصى الحدود، فقال ما نصه: "وقال بعضهم: بل سأل منه: إما أن يذهبا إلى يزيد، أو يتركه يرجع إلى الحجاز، أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك"(٥٧) ثم تجاوز كل المراحل واختصرها بقوله: "وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم، فقال له الحسين: يا عمر اختر بين إحدى ثلاث خصال: إما أن تتركني ارجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده، فيحكم فيّ ما رأى، فإن أبيت هذه، فسيرني إلى الترك، فأقاتلهم حتى أموت"(٥٨).

وثلث ابن الأثير بأسلوب آخر طالما أُعتمد في تضييع أصل الحقائق من خلال استخدام مصطلحات غريبة أخرى مثل: (قيل) و(يقال)، فقال: "وقيل، بل قال له: اختاروا مني واحدة من ثلاث: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه. وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبين رأيه. وإما أن تسيروا بي إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلا من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم"(٥٩).

ابن قتيبة الدينوري هو الآخر لم ينسب الرواية إلى احد، واكتفى بالقول: "قال الحسين: يا عمرو اختر مني ثلاث خصال، إما أن تتركني ارجع كما جئت، فإن أبيت هذه، فأخرى، سيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت، أو تسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده، فيحكم فيما يريد"(٦٠).

كذلك فعل ابن عبد ربه الأندلسي الذي جعل قوله مفتوحا على كل الاحتمالات، فقال: "فقال الحسين: أي ارض هذه؟ قالوا: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأحاطت بهم الخيل، فقال الحسين لعمر بن سعد: يا عمر، اختر مني إحدى ثلاث خصال: إما أن تتركني ارجع كما جئت، وإما أن تسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده، وإما أن تسيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت"(٦١).

الذهبي هو الآخر لم ينسب الرواية إلى أحد، واكتفى بذكر النقاط الثلاث بالرغم من انه أورد عدة روايات عن الحادثة(٦٢) بل أورد رواية تخالف كل الروايات، حتى تلك التي جاء بها من قبل؛ تنص على شرطين فقط من أصل الشروط الثلاثة التي نسبوها إلى الحسين،

وادعى في هذه الرواية أن الحسين لم يقلها لابن سعد قبل الحرب، وإنما قالها أثناء المعركة، وفيها: أن الحسين لما أرهقه السلاح قال: "ألا تقبلون مني ما كان رسول الله يقبل من المشركين؟ كان إذا جنح أحدهم قبل منه؟. قالوا: لا. قال: فدعوني آتي أمير المؤمنين"(٦٣) ويكفي رواية الذهبي تهافتا أنها تنسب إلى الحسين عليه السلام تسميته ليزيد بن معاوية (أمير المؤمنين) بما يعني اعترافا ضمنيا بصحة خلافته من جانب، واعترافا ضمنيا آخر بأنه خرج على شرعية الخليفة أمير المؤمنين، وأنه يستحق ما يجري له وما يناله من عقاب.!!

أما محب الدين الطبري، فأعادها ثلاثا، ولكنها لا تشبه ما أوردوه، باستثناء تأكيده على مصطلح (أمير المؤمنين) على لسان الحسين، فهو مثل الذهبي، يرى أن الحادثة وقعت بعد أن أرهقت الحرب الحسين وأعجزته، فصار يبحث عن مخرج منها، وهذا مخالف لما ذكره الآخرون من أن اللقاء جرى قبل المواجهة، إذ أورد في كتابه ذخائر العقبى، عن عبد ربه: أن الحسين بن علي (رض) لما أرهقه القتال وأخْذُ السلاح، قال: "ألا تقبلون مني ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل من المشركين، كان إذا جنح احدهم للسلم قبل منه؟ قالوا: لا. قال: فدعوني ارجع؟ قالوا: لا. قال: فدعوني آتي أمير المؤمنين"(٦٤).

إن استحداث تسمية (أمير المؤمنين) التي عنوا بها يزيدا على لسان الحسين جاء لكي يظهر الحسين في منتهى الاستسلام، ولاسيما بعد أن أنهكته الحرب، وبانت تباشير هزيمته أمامهم واضحة كما يزعمون! فصار يبحث عن سلامته من خلال مخاطبة يزيد بلقب أمير المؤمنين، وهو الذي خرج بأهله وأقربائه لأنه رفض أن يسمى يزيد بهذه التسمية، ورفض أن يكون يزيد حاكما لأمة الإسلام.!!

يروى بهذا الصدد حوار دار بين معاوية وامرأته ابنة قرظة، فضل فيه معاوية ابنه يزيد على ابنها عبد الله، فاعترضت، فأراد أن يثبت لها صحة رأيه، فأمر فدعي له عبد الله أبنها، فقال له: "أي بني، إني أردت أن أعطيك ما أنت أهله، ولست بسائل شيئا إلا أجبتك إليه، فقال: حاجتي أن تشتري لي كلبا فارها وحمارا. فقال: أي بني، أنت حمار واشتري لك حمارا! قم فاخرج. ثم احضر يزيد، وقال له مثل قوله لأخيه عبد الله، فخر ساجدا، ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأره هذا الرأي، حاجتي أن تعتقني من النار؛ لأن من ولي أمر الأمة ثلاثة أيام أعتقه الله من النار، فتعقد لي العهد

بعدك، وتوليني العام الصائفة، وتأذن لي في الحج إذا رجعت"(٦٥).

إن يزيد الذي تحدث عن العتق من النار، واختلق حديثا ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله، حج في حياة أبيه فعلا، فشرب الخمر في الموسم وكان الحسين عليه شاهدا. يقول عمر بن سبيئة: "فلما بلغ المدينة جلس على شراب له، فأستأذن عليه ابن عباس والحسين، فقيل له: إن ابن عباس إن وجد ريح الشراب عرفه، فأحجبه، وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب"(٦٦).

أما اليعقوبي فإنه لم يتطرق سوى إلى موضوع واحد من المواضيع الثلاثة التي ادعوا أنها نوقشت في المفاوضات؛ وهو طلب الحسين العودة، وكل الذي قاله: "فناشدهم الله عز وجل، فأبوا إلا قتاله أو يستسلم، فيمضوا به إلى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه...فلما كان من الغد خرج فكلم القوم...وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع فأبوا إلا قتاله، أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد، فجعل يكلم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل، فيقولون: ما ندري ما تقول"(٦٧)، وسنعود إلى الحديث عن هذه الرواية نظرا لأهميتها.

نتيجة التخبط القبيح وغير المحمود يصبح موضوع الشروط لاغيا ساقطا غير موثوق، ولا يمكن تأكيده من مصدر محايد. ولذا جاء من أراد نفي الشكوك الدائرة حول حديثهم عن الشروط، فجزم من جانب بصحتها، من خلال حذفه للأقوال التي تقبل أكثر من احتمال، وحذفه الأقوال التي تضعف النص، ثم طعن بالشيعة والكوفيين من جانب آخر بغية صيد عصفورين بحجر واحد. ولكنه هو الآخر عجز أن ينسبها إلى أحد الذين زعموا أنهم حضروا الواقعة، لا من القادة ولا من المقادين، وهذه الرواية أوردها البري(٦٨)، في قوله: "ثم التقوا مع الحسين بكربلاء، وهو موضع على الفرات. فأتاه عمر بن سعد، فقال: ما هذا المسير يا أبا عبد الله؟ قال: سرت إلى قوم غروني بكتبهم، ولا مرد للقضاء، وإني أسأل منكم إحدى ثلاث خلال: إما أن تتركوني أرجع من حيث جئت، وإما أن تخلوا بيني وبين الطريق إلى الأعاجم، أقاتل فيها حتى أموت، وإما أن أسير إلى يزيد فأضع يدي في يده، فأخبر عمر بن سعد بذلك عبيد الله بن زياد، فقال: لا أعطيه واحدة من ثلاث ولكن ينزل على حكمي. فأخبر عمر بن سعد بذلك الحسين، فقال: أأنزل على حكم ابن مرجانة الدعي؟ الموت والله عندي دون ذلك أشهى وأحلى"(٦٩).

لقد أكد البري على جملة (سرت إلى قوم غروني بكتبهم، ولا مرد للقضاء) ليبدو الحسين من خلالها مخدوعا بشيعته وأنصاره، خائفا من الموت، يبحث عن منقذ من ورطته التي أوقعه بها أصحابه، كل ذلك لكي تبدو الشروط متناسبة مع حالته النفسية المنهارة التي أرادوا أن يظهروه بها، وتتطابق مع حالة كل رجل مهزوم لا حول له ولا قوة.

الفصل الثالث

امتحان الشروط

فضلا عن التعارض الكبير بين رواياتهم عن المفاوضات وشروطها، يمكن لأي امتحان بسيط لتلك الشروط أن يكشف الكثير من الحقائق، وهذا ما يتضح من خلال تناول تلك الشروط بالدرس.

الشرط الأول: الذهاب إلى يزيد.

كان رأي الحسين عليه السلام في يزيد واضحا تمام الوضوح، وهو أنه لا يمكن، بل يستحيل أن يبايع يزيدا ويقر له بالخلافة مع ما في يزيد من الفسق والفجور؛ بما لا يؤهله لأن يحكم أمة الإسلام، وهذا واجب شرعي على الإمام المعصوم، لا يمكن أن يتخلى عنه تحت أي ظرف مهما كان قاسيا، وقد أعلن الحسين هذا الرأي صراحة أمام الملأ ليعرفوه عنه ويفهموه، حيث نقل مرتضى العسكري في معالم المدرستين عن فتوح ابن أعثم ومقتل الخوارزمي بعض ما دار من حوار بين الحسين وأخيه ابن الحنفية حينما هم بالمسير إلى العراق، فاعترضه ابن الحنفية، ومنه: فقال له الحسين: "يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية أبدا"(٧٠) فهل يعقل بعد هذا أن يتوسل إليهم الحسين لكي يبقوا عليه حيا مقابل أن يأخذوه إلى يزيد ليبايعه بالخلافة بعد أن قال ما قال؟

إن مجرد التصديق بمجريات الحديث بين الحسين وأخيه محمد، يثبت أن كل ما جاء من حديث عن الشروط المزعومة، إنما كان من صنعهم وتدبيرهم، فهم الذين كانوا يتحرجون من مقاتلة الحسين لمنزلته عند الناس، ولذا كانوا يرغبون بان يوافق على الذهاب إلى يزيد، ليجنبوا أنفسهم اللوم. وهم الذين كانوا يكررون عليه هذا المطلب حتى قبل المواجهة بقليل، وكتب التاريخ تتحدث مرة عن جماعات غير مخصصة ولا محددة، طلبوا منه ذلك، منها

على سبيل المثال: "فقالوا: وما يمنعك أن تنزل على حكم بني عمك"[٧١]، ومرة عن أشخاص بعينهم، منها: "قال فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجار بن ابجر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث... فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك"[٧٢].

كما اتفقت اغلب المصادر التاريخية أن الحسين هو الذي رفض شرطهم المذل هذا، وهو الذي قال لهم: "لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لهم إقرار العبيد" هذا القول فضلا عن جمع كبير من المؤرخين الذين نقلوه، نقله ابن كثيرا جوابا من الحسين على طلبهم منه الذهاب إلى يزيد[٧٣]، وكان من قبل قد قال لعبد الله بن الزبير: "أما أنا فلا أُبايع أبداً؛ لأن الأمر كان لي بعد أخي الحسن فصنع معاوية ما صنع، وكان حلف لأخي الحسن أن لا يجعل الخلافة لأحد من ولده وأن يردّها عليَّ إن كنت حياً، فإن كان معاوية خرج من دنياه ولم يف لي ولا لأخي بما ضمن فقد جاءنا ما لا قرار لنا به، أتظن أبا بكر أني أُبايع ليزيد، ويزيد رجل فاسق معلن بالفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ونحن بقية آل الرسول، لا والله لا يكون ذلك أبداً"[٧٤].

وقبل هذا وذاك قال لمروان بن الحكم: "ويحك، أتأمرني ببيعة يزيد؛ وهو رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل، لا ألومك على قولك لأنّك اللعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص؛ فإن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن له ولا منه إلاّ أن يدعو إلى بيعة يزيد"[٧٥].

فإذا آمنا وأيقنا أن هذا الشرط مكذوب، ولا صحة له، فالواجب والعقل يدعونا إلى أن نكذب الشرطين الآخرين اللذين ضمنوهما إلى رواياتهم.

فضلاً عن ذلك هناك روايات أخرى تقول إن الذهاب إلى يزيد ليس من رأي الحسين وإنما هو من رأي أحد أصحابه المقربين، فابن كثير بعد أن نقل رد ورفض الحسين لمطلبهم، عاد وتحدث عن خروج زهير بن القين ومخاطبته جيش ابن سعد، مدعيا أن زهير هو الذي قال لهم: "خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، يذهب حيث شاء، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين"[٧٦] ومن يتابع موقف زهير البطولي في الطف منذ التحاقه بالحسين ولحين استشهاده يتأكد أن مثل ذلك القول لا يمكن بل يستحيل

أن يخرج من فم هذا البطل الكبير.

من الدلائل الكثيرة السابقة ودلائل كثيرة أخرى، يتبين أنه باستثناء الإشارات الكاذبة، لا يوجد أي رواية أو خبر ممكن الوثوق به، يؤكد طلب الحسين منهم أخذه إلى يزيد. بينما أجمع المؤرخون على أن ابن زياد هو الذي كتب إلى ابن سعد: "أن يعرض على الحسين بيعة يزيد، وان يمنع عنه الماء لكي يرضخ لطلبه"(٧٧)، فلماذا كتب ابن زياد ذلك لو كان الحسين قد طلب منهم بنفسه أن يأخذوه إلى يزيد؟

وما يثبت أن كل تلك الروايات جيء بها لتبييض وجه يزيد وابن زياد؛ ما أورده ابن قتيبة في حديثه عن شروط الحسين، بقوله: "فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك (أي باقتراحات الحسين الثلاث) فهم (ابن زياد) أن يسيره إلى يزيد، فقال له شهر بن حوشب(٧٨): قد أمكنك الله من عدوك وتسيره إلى يزيد، والله لئن سار إلى يزيد لا رأى مكروها، وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله أنت منه ولا غيرك من أهل الأرض"(٧٩) ومن اليسير معرفة أن مجمل ما جاء في هذه الرواية مخالف لكل الحقائق التاريخية عن علاقة الحسين بيزيد وأبيه معاوية وبابن زياد، وقد جيء به لتبييض وجوههم.

قبالة ذلك هناك الكثير من الأقوال المسندة التي تدل صراحة على أن من هو مثل الحسين عليه السلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتنازل ويبايع يزيد، وقد أعلن الحسين رأيه ذاك صراحة؛ في قوله يوم كان بالمدينة المنورة: (ومثلي لا يبايع مثله)(٨٠). وهو لم يستعجل الخروج من مكة إلا رفضا لبيعة يزيد، بعد أن كان قد صرح في أكثر من مناسبة أن يزيد ظالم لا تجوز بيعته، ومن أقواله الكثيرة في ذلك: "إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما"(٨١) فكيف بمن يرى الحياة مع الظالمين برما، والموت دون الحياة معهم سعادة أن يبايعهم، ويقر لهم بالخلافة والإمامة؟!

فضلاً عن ذلك هناك مقدمات كثيرة قدمها الحسين بهذا الشأن منها إعلانه الصريح الذي لا يقبل اللبس أو التأويل: "من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرام الله، ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله"(٨٢).

فكيف يذهب إلى يزيد ويبايعه وهو القائل: "على الإسلام السلام، إذ بُليت الأمة براع مثل يزيد"[٨٣]. هل معنى ذلك أن الحسين من أجل الحفاظ على نفسه لم يعد يأبه لما يصيب الأمة؟! ثم ألم يقل الحسين: "إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي"[٨٤].

ألم يقل في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية: "وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمد ﷺ أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدُي محمد ﷺ وسيرة أبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين"؟[٨٥].

فكيف يترك الإصلاح الذي خربه يزيد، ويبايعه لمجرد أن ينجو بنفسه؟!، كيف يبايع؟ وهو الذي قال: "لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد، وفي رواية: لا أفرّ فرار العبيد"[٨٦]. كيف يتنصل عن شعاره الذي رفعه: "هيهات منا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون..."[٨٧]. كيف وهو الذي كان يرى أن

المـــوت أولى مـــن ركـــوب العـــار والعـــار أولى مـــن دخـــول النـــار[٨٨]

كيف؟ وهو الذي قال لأصحابه: "صبرا بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم"[٨٩]. كيف؟ وهو الذي يؤمن عن يقين أن: "موت في عز خير من حياة في ذل"؟[٩٠].

إن الشعار الذي رفعه الحسين يوم عاشوراء: (هَيْهَات مِنَّا الذِّلَّة) وحده كاف ليبطل كل الأكاذيب التي تتحدث عن طلبه الذهاب إلى يزيد، وكفى به إثباتا لبطلان قولهم.

الشرط الثاني: العودة من حيث أتى.

أكثر من ثلاثين شخصية من وجوه المجتمع الإسلامي فضلا عن عامة الناس ومحبي أهل البيت؛ اعترضوا على خروج الحسين من المدينة إلى مكة، ثم اعترضوا على خروجه من مكة إلى الكوفة، وخالفهم جميعهم وخرج، فكيف يعقل أن ينسى ذلك الموقف الكبير، ويطلب من أعدائه السماح له بالعودة إلا إذا ما كان ذلك لإلقاء الحجة عليهم فقط؟

بأي وجه كان سيقابل الذين اعترضوا على خروجه أول مرة لو طلب من أعدائه حقا

أن يسمحوا له بالرجوع؟ وماذا سيقول لهم؟ أيقول لهم انه جبن وانهزم وخاف من الموت، فطلب من أعدائه أن يسامحوه ويتركوه يذهب من حيث أتى، وكانوا هم أكثر كرما وسماحا؛ فمنوا عليه بالسلامة، وسمحوا له بالرجوع؟ أيعقل مثل هذا الهراء؟.

وحتى فيما يخص قولهم إن الحسين طلب منهم أن يسمحوا له بالعودة إلى المكان الذي جاء منه نجد ابن الأثير في الكامل يخصص لهذا الشرط مكانا ظاهرا، فيقول: إن الحر بعد أن وقف بجيشه قبالة جيش الحسين، خرج الحسين إليهم؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إنها معذرة إلى الله واليكم إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم... فإن تعطوني ما اطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم بمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه"[٩١] ولو اكتفى بهذا النص لقلنا أن هذا منتهى علمه بالأمر، فهي حجة ألقاها عليهم الحسين ولم يأخذوا بها، لكن حينما يورد خبرا آخر عبارة عن خطبة قالها الحسين عليه السلام قبل المنازلة بقليل، ولم يذكر فيها مما تقدم شيئا، فذلك يعني أن المؤرخ وقع في تخبط وخلط غير محمود، إذ أورد خطبة الحسين عليه السلام؛ التي دعا فيها جيش الأعداء إلى نصرته لكي يحارب السلطان الجائر، جاء فيها: "أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وإنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع نفسكم وأهلي مع أهلكم فلكم فيّ أسوة"[٩٢]. فكيف حدث هذا التبدل والانقلاب السريع بالمواقف؟ كيف انقلب التوسل وطلب السماح له بالعودة إلى تحد وشموخ وكبرياء لا مثيل له؟ ألا يعني ذلك أن التوسل لا أصل له؟!.

لا تفوتني الإشارة إلى أهمية مقترح الإمام الحسين عليهم بأن يسمحوا له بالرجوع، وهو المقترح الذي تكرر ذكره من قبل، وجاء ذكره في رواية لعقبة بن سمعان، سترد عليكم، في قوله: إن الحسين قال لهم: "دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير

أمر الناس"(٩٣) وأورده الشيخ المفيد وأخرجه المجلسي في البحار، عن عمر بن سعد أنه قال: "هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى(٩٤). فقد أراد الإمام الحسين أن يلقي عليهم الحجة لكي يبرئ ذمته أمام الله من الدماء التي سوف تجري في المنازلة، ويجنبهم عاقبة سفك دمه الطاهر، وهو بكل تأكيد لم يعلن أنه سيتخلى عن الثورة.

إن هذا القول الذي قاله الإمام الحسين عليه السلام أمام الحر الرياحي، وكرر قوله أمام عمر بن سعد، كان من ضمن الأسس التي اعتمدوها في تزييف رواياتهم عن المفاوضات ولاسيما بعد أن أخذ به ابن سعد، وأراد أن يستخدمه ذريعة للتنصل من محاربة الحسين بالحسنى، عسى أن يرضى ابن زياد بإعفائه من مهمة قتال الحسين، ولكنهم رأوها كبيرة عليهم أن تفوتهم فرصة التجرؤ على الله ورسوله بقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه.

وقد شعر أبناء الفصيل السياسي العربي بالحرج الذي أوقعهم به الحسين بمقترحه هذا، فكادوا وتشيطنوا، وخرجوا برواية تدعي أن المقترح جاء ضمن الشروط الثلاثة، وأن ابن سعد قام بالكتابة إلى ابن زياد بذلك، فهم ابن زياد أن يسير الحسين إلى يزيد لكن شمر بن ذي الجوشن اعترضه ومنعه(٩٥). وأسأل هنا: كيف يرضى ابن زياد من عمر بن سعد أن يكتب له مثل هذا الرأي؛ وهو الذي طلب منه أن يقتل الحسين على كل حال؛ وإلا فقد نسبه الذي أكتسبه ليفخر به على الناس بعد أن كان مجرد ابن بغي ذليل؟! ألا يخالف مضمون هذا القول ما أورده ابن عبد ربه نفسه عن انزعاج ابن زياد من تأخر ابن سعد عن قتل الحسين؟ ألم يرسل إليه شمرا مهددا بأنه سيتحول إلى عدو مثل الحسين؛ إذا تأخر عن قتل الحسين؟ وهذا ما قاله ابن عبد ربه نفسه، إذ قال: "وأبطأ عمر عن قتاله، فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن، وقال له: إن تقدم عمر وقاتل، وإلا فاتركه وكن مكانه"(٩٦) فكيف يجرؤ عمر بن سعد على الكتابة إلى ابن زياد بعد هذا التهديد الخطير؟! ألا يحتمل أن يأخذ ابن زياد هذا القول على محمل الجد ويعتبره تهاونا من ابن سعد فيعزله ويعاقبه؟

ابن سعد نفسه وهو أحد أبناء الفصيل السياسي الإسلامي المشهورين لم يكن غرا جاهلا بألاعيب السياسة وأسرارها وخدعها والتنافس فيها، ومن المستحيل أن يخطو خطوة تقبل التأويل بأكثر من معنى واحدا، فيعرض نفسه إلى خطر محتمل قد يودي به إلى الهلاك، ولاسيما وانه يعرف طبيعة المجرمين الذين يتعامل معهم حق المعرفة.

الشرط الثالث: السماح له بالالتحاق بمعسكرات الرباط.

إن هذا الشرط أوهن من أن يأخذ من وقتنا وجهدنا شيئا، فالمعروف أن الإمام علي عليه السلام وأولاده الحسن والحسين عليهما السلام وأتباعه الخلص لم يشتركوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في أي غزوة أو حرب فتح كما يسمونها، لأنهم كانوا على يقين أن الفتوحات لم تعد خالصة لوجه الله تعالى، وإنما تم تسييسها من قبل الحكام، وتحولت إلى مناسبة لتصفية الحسابات مع المعارضين والمنافسين، وأصبحت وسيلة للكسب الرخيص، تخرج فيها الجيوش باسم الفتح الإسلامي، وتسير تحت راية الله أكبر بحثا عن المال والنساء والإماء والعبيد والعطور والخيول، واتخذت أداة لإبعاد من يشكون بولائه لهم أو من يعترض عليهم أو من يتوجسون منه خيفة أو يرونه منافسا لهم، وذلك في وقت قريب من عصر البعثة، وإن كان التاريخ قد سكت عن الحالات التي وقعت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، فإنه لم يسكت عما حدث في زمن خلافة عثمان بن عفان، قال ابن الأثير في حديثه عن تزايد وتشدد المعارضين لعثمان: "فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن سعد وإلى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر، فجمعهم، فشاورهم، وقال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم. فقال له ابن عامر: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك، ولا يكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته"(٩٧). وقد شخص الإمام الحسين عليه السلام هذا المنهج المنحرف والبعيد عن روح وجوهر عقيدة الإسلام، وكان قد وضعه ضمن قائمة الأمور المستعجلة التي هي بحاجة إلى الإصلاح، والتي خرج داعيا إلى إصلاحها، ومجرد اتهامه بأنه طلب من أعدائه أن يرسلوه إلى أحد معسكرات المرابطة؛ فيه إهانة كبيرة للحسين لا يرتضيها الإنسان العاقل الشريف النزيه، وهي تدل على درجة الانحطاط الذي وصل له أعداء الحسين عليه السلام.!

النتيجة:

يتضح مما تقدم وبالدليل القاطع أن الشروط الثلاثة المزعومة المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام لم تكن كما أوردتها بعض كتب التاريخ المغرضة، وإنما كانت عبارة عن

مقترحين اقترحهما الحسين عليه السلام، الأول: اقترحه على عمر بن سعد قائد جيش الأعداء، طالبا منه أن يتخلى عن مهمته ويلتحق به، وقد رفضه عمر؛ الذي كان يسعى وراء مكاسب الدنيا، وغير مهتم بأمور الآخرة. والثاني: اقترحه الإمام الحسين عليهم لكي يبرئ نفسه أمام الله من الدماء التي سوف تسفك في المنازلة؛ حينما اقترح عليهم أن يسمحوا له بالعودة اختبارا لنواياهم، ولكي يلقي الحجة الأخيرة عليهم. لكن هذين المقترحين تعرضا على يد الفصيل السياسي إلى تحريف كبير وتغيير اكبر، وتحولا إلى تلك الشروط المهينة التي تناولناها بالبحث وفندنا أصولها.

إن هذا التحريف بحد ذاته، يدل على أنه لابد من وجود جهاز منظم كبير وخطير أخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة الخطيرة والكبيرة، وبث كل تلك الأباطيل والأكاذيب في التاريخ الإسلامي، مرة من خلال الإغراء بالمال والمكاسب رهانا على الطمع وحب الدنيا، ومرة أخرى من خلال التهديد والوعيد، وثالثة من خلال ضغوطات العصبية والطائفية، ورابعة محاباة للسلطان ومحاولة لنيل رضاه، وهذا الجهاز هو الجهاز الإعلامي السياسي الخفي؛ الذي أوقع كل الخلط والتحريف المعروف في تاريخنا، وأدخل تحريفه إلى منظومة الدين، فتحولت إلى طقوس يتعبد بها البعض. ولذا يجب الانتباه الشديد في التعامل مع أي رواية، ولاسيما تلك التي تفوح منها رائحة السياسة.

هوامش البحث

(١) تناولت موقف الإمام الحسن عليه السلام والتخريب السياسي ضده في كتابي الموسوم "الحسن بن علي الإمامة المنسية" الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة التأليف عن الإمام الحسن؛ التي أقامتها العتبة العباسية المشرفة، والكتاب بجزئين.

(٢) أشبعت موضوع السياسة العربية بحثا في عدد من مؤلفاتي مثل نظرية فارسية التشيع، وخرافة كثرة زوجات الإمام الكاظم عليه السلام، والإمامة المنسية، وثائر في قرن الدماء؛ سعيد بن جبير، وغيرها.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٤/ص٤١٣.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١/ ص٣٩٨.

(٥) الكامل في التاريخ،ج٣/ص ٤٩٠

(٦) المصدر نفسه، ج٣/ص ٤٩١

(٧) البداية والنهاية، م٤،ج٨/ ص٥٥٨
(٨) ينظر: ابن طاووس، الملهوف في قتلى الطفوف، ص ٧٠
(٩) البلاذري، أنساب الأشراف،ج ٦/ص ٣٩٨
(١٠) ينظر: المصدر نفسه، ج ٦،ص ٣٦٧ و ٣٨١ أمر التوّابين
(١١) ينظر: المجلسي، البحار، ج٤٤/ص ٣٨٨-٣٨٩
(١٢) ابن كثير، البداية والنهاية، م٤، ج ٨/ص ١٩٣
(١٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٥
(١٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٣/ص٢٢
(١٥) المدرسي، الإمام الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة، كتاب الكتروني، الفصل الأول: التسليم المطلق
(١٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٣/ ص٤٧٦
(١٧) ينظر: مراصد الاطلاع، م٣/ ص١٢٨٢
(١٨) المصدر نفسه، م١/ص ٤٤٨
(١٩) المصدر نفسه، م٣/ص ١٠٨٠
(٢٠) المصدر نفسه، م٢/ص ٦٠٨
(٢١) المصدر نفسه، م١،ص ٢٠٤
(٢٢) مراصد الإطلاع، م١/ص ٢٠٤- ٢٠٤
(٢٣) المصدر نفسه، م١/ص ٤٥١
(٢٤) المصدر نفسه، م٢/ص ٩١١
(٢٥) تاريخ الطبري،ج٥/ص ٢٣٤
(٢٦) تاريخ ابن خلدون، م٣/ص ٢٢
(٢٧) العقد الفريد، ج٤/ ص٣٥٩
(٢٨) معجم البلدان، حرف الشين.
(٢٩) ينظر: البغدادي، مراصد الإطلاع، م٢/ص٧٨٨
(٣٠) ابن كثير، البداية والنهاية، م٤،ج٨/ص ٥٤٨
(٣١) تاريخ ابن خلدون، م٣/ص٢٢
(٣٢) ابن خلدون، المصدر نفسه، م٣/ص٢٢
(٣٣) تاريخ الطبري، ج٥/ ص٢٥٤
(٣٤) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١/ص ٣٩٩
(٣٥) الكامل في التاريخ، ج٣/ص ٤٩٦

(٣٦) الكامل في التاريخ،ج٣/ص٥١١-٥١٢ -واليعقوبي في تاريخه، والطبري ج٥/ص ٢٦٨ وابن اعثم في الفتوح، ج ٥/ص١٠٦ ج ٢/ص٢٤٤، وابن كثير في البداية، وابن الجوزي في المنتظم، ج٥/ص٣٣٧-٣٣٨ وغيرهم
(٣٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ص ٤٩٦
(٣٨) ينظر: تاريخ الطبري، ج٥/ص ٢٦٢
(٣٩) الكامل في التاريخ، ج٣/ ص ٤٩٦
(٤٠) يقصد عبد الله بن يقطر رسول الحسين بعد مسلم إلى الكوفة
(٤١) حاجر: موضع قبل معدن النقرة. وقال في الهامش: في الزبيدي: الحاجر: موضع بالقرب من زبيد. وموضع بالجيزة من مصر. وفي الأساس هو مكان بطريق مكة. اما عن النقرة فقال: قال البكري: هو موضع في ديار بني تميم. مراصد الإطلاع، م١/ ص٣٧٠
(٤٢) ابن كثير، البداية والنهاية، م٤، ج ٨/ ص ٥٦٥
(٤٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥/ ص ٢٧٢
(٤٤) كامل في التاريخ، ج ٣ /ص ٥٠٧
(٤٥) المصدر نفسه،ج٣/ص ٥٠٩
(٤٦) ينظر: ابن سعد، الطبقات، وتاريخ الطبري، ومقاتل الطالبيين، وغيرها
(٤٧) هَزيع: اسم، وجمعه: هُزُع. والهَزِيعُ من اللَّيل: نحو الثُّلث أو الرُّبع الأوَّل، أو النصف منه
(٤٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥ /ص ٢٧٩
(٤٩) البداية والنهاية،م٤، ج٨/ص٥٧١
(٥٠) المصدر نفسه.
(٥١) نينوى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل. وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التي قتل فيها الحسين. ينظر: مراصد الإطلاع، ج٣/١٤١٤.
(٥٢) ينظر: المجلسي، البحار، ج٤٤/ص ٣٨٨-٣٨٩
(٥٣) المصدر نفسه، ج ٤٤ /ص ٣٨٨ - ٣٨٩
(٥٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ص ٦٦٢
(٥٥) تاريخ الطبري، ج٥/ص٢٧٩
(٥٦) البداية والنهاية،م٤، ج٨/ص ٥٧١
(٥٧) البداية والنهاية، م٤، ج ٨ /ص ٥٦٦
(٥٨) المصدر نفسه.
(٥٩) الكامل في التاريخ، ج ٣ /ص ٥٠٦
(٦٠) الإمامة والسياسة، ج٢/ص١١

(٦١) العقد الفريد، ج٤/ص ٣٥٩
(٦٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، ج٤/ ص٤٢٢و٤٢٣
(٦٣) سير أعلام النبلاء،ج٤/ص ٤٢٣
(٦٤) ص ١٤٩
(٦٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ ص٥٦٨ سنة أربع وستين.. وقد بحثت كثيرا عن صحة حديث (من ولي أمر الأمة ثلاثة أيام أعتقه الله من النار) في كثير من كتب الحديث والصحاح والسنن فلم أعثر له على أصل، بل وجدت أحاديث كثيرة خلافا لمعناه، ومع سكوت معاوية عن الحديث الذي أورده يزيد إثبات بجهلهم بالحديث النبوي، أو سكوتهم عن التحريف الأموي، فالحديث أموي الهوى بدون أدنى شك.
(٦٦) المصدر نفسه، ج٣/ ص٥٦٩ سنة أربع وستين
(٦٧) تاريخ اليعقوبي، ج٢/ص١٧٠
(٦٨) البري مؤلف مجهول، كل ما يعرف عنه أنه من سكان جزيرة (منورقة) في الأندلس، عاش في أواسط القرن السابع الهجري، أنهى كتابه سنة ٦٤٥ مجرية، وأهداه إلى أمير الجزيرة سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي أبو عثمان.
(٦٩) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، ص ٤٦-٤٧.
(٧٠) ج٣/ص٤٩ وابن أعثم، الفتوح، ج ٥/ ٣٢ - ٣٣
(٧١) ابن كثير، البداية والنهاية، م٤،ج٨/ص٥٧٦.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٥٧٦.
(٧٣) المصدر نفسه.
(٧٤) الخوارزمي، قتل الحسين، ج ١/ص ١٨٢.
(٧٥) ابن أعثم، الفتوح، ج ٥/ص ٢٤.
(٧٦) ابن كثير، البداية والنهاية، م٤،ج٨/ص٥٧٦.
(٧٧) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٣/ص ٥٠٧ وابن كثير، البداية والنهاية، م٤،ج٨/ص ٥٧١ وغيرها
(٧٨) في العقد الفريد: شمر بن ذي الجوشن وليس شهر بن حوشب، وهو الأصح، ينظر: ج٤/ ص ٣٥٩.
(٧٩) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢/ص ١١.
(٨٠) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١/ص١٨٥
(٨١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٨١/ص٤٤
(٨٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٣٦١، وواقعة الطف في كتب التاريخ الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، أ. د. عمار محمد يونس وإسراء محسن داود المرعبي، ص ١٧٢

(٨٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٢٨٤
(٨٤) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب ج ٢/ص٤
(٨٥) ابن أعثم، الفتوح، ج ٥/ص ٣٣.
(٨٦) المقرم، مقتل الحسين، ص٢٨٠
(٨٧) الخوارزمي، المقتل، ج ٧/ ص٢
(٨٨) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢/ ص١
(٨٩) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص٢٨٨
(٩٠) بحار الأنوار، ج ١٩٢/ ص٤٤
(٩١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ص ٥٠١
(٩٢) المصدر نفسه، ج٣/ص ٥٠٢
(٩٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٥٠٨،الطبري في تاريخه، ج ٥/ص٢٧٩،وابن كثير في البداية والنهاية، م٤،ج ٨/ ص ٥٧١
(٩٤) البحار،ج٤٤/ ص ٣٨٩
(٩٥) العقد الفريد، ج٤/ ص ٣٥٩
(٩٦) المصدر نفسه، العقد الفريد، ج٤/ ص ٣٥٩
(٩٧) الكامل في التاريخ، ج٢/ص٦.

قائمة المصادر والمراجع

- الأصفهاني، أبو الفرج (٢٨٤ـ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة العطار الثقافية،قم،١٤٢٨هـ.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ط٢، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف،جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار المعرفة، بيروت،١٩٩٥.

ـ البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، مستل من كتاب الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، مؤسسة أنصاريان، قم، (د.ت).

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

– الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله(ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، معجم البلدان، دار صادر، ١٣٩٧هـ - ١٩٩٣م.

ـ حسن، الدكتور حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤.

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

ـ الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق محمد بن أحمد المكي الحنفي، مقتل الحسين، تحميل الكتروني.

ـ الدينوري، أحمد بن داود(٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر ودكتور جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، (د.ت).

ـ الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، تقديم الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت،(د.ت).

ـ ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

ـ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابَوَيه (ت٣٨١)، معاني الأخبار، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩هـ - ١٣٣٨ش.

ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

ـ الطبري، محب الدين احمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٤.

ـ ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، وصدر الكتاب بعناوين أخرى، منها: قتل الحسين ﷺ المسمى باللهوف في قتلى الطفوف،

منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٣.. ومنها: الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم الشيخ فارس تبريزيان (الحسون).

- ابن اعثم، أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ)، الفتوح، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- العسكري، السيد مرتضى، معالم المدرستين، المجمع العلمي الاسلامي، قم، ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (٢١٣- ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي، (د.ت).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين(ت ٧٧٤)، البداية والنهاية، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٠.

- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

- المجلسي، محمد باقر(ت١١١١)، بحار الأنوار الجامع لدُرر أخبار ألائمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

- المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين أو حديث كربلاء، منشورات الشريف الرضي، طهران.

- أبو مخنف، مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، مكتبة الألفين، الكويت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

- المرعبي، أ. د. عمار محمد يونس وإسراء محسن داود، واقعة الطف في كتب التاريخ الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كتاب الكتروني.

- المدرسي، آية الله العظمى السيد محمد تقي، الإمام الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة، كتاب الكتروني.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار الاعتصام، قم، ١٤٢٥هـ.